قبر ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال : إن لي حبيباً قد مات ، فقال العارف : لقد ظلمت نفسك بحبِّك لحبيبٍ يموت ، فلو أحببتَ حبيباً لا يموت لما تعذَّبت بفراقه .

وما أجمل ما وُصف به أولئك الذين أحبُّوا الله وأرادوه :

فما مقصودهم جنات عدنٍ ولا الحور الحسانُ ولا الخيام
سوى نظر الحبيب وذا مُناهم وهذا مقصد القوم الكرام

لله درُّ أقوام ، إذا جنَّ عليهم الليل ، سمعت لهم أنين الخائف ، وإذا أصبحوا رأيت عليهم تغيُّر الألوان :

إذا ما الليل أقبل كابدوه ويسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الشوقُ نومهمُ فقاموا وأهل الأمن في الدنيا خشوعُ

* * *

من آداب المتعلم :

١ـ الرضا باليسير من القوت ، والصبر على ضيق العيش ، وقد قال الإمام الشافعي : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزِّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذُلِّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح ، ولا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل ، وقال الإمام مالك : لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضرَّ به الفقر ويؤثره على كل شيء .

٢ـ أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ، لذلك ورد أن بعض المتقدمين كان إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال : اللهم استر عيب معلمي عني ولا تُذهب بركة علمه منِّي ، لذلك قال الشافعي رحمه الله عن نفسه :

كنت أصفح الورقة بين يدي (مالك) صفحاً رقيقاً هيبةً له لئلا يسمع وقعها .

٣ـ أن يتحرّى رضا المعلم ، وقد أجمل الإمام علي كرم الله وجهه ذلك بقوله :

من حقِّ العالِم عليك أن تسلِّم على القوم عامَّة ، وتخصّه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرنَّ عنده بيدك ، ولا تعمدنَّ بعينك غيره ، ولا تقولنَّ قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تسارَّ في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلحَّ عليه إذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .

٤ـ أن يكون حريصاً على التعلُّم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً ، حضراً وسفراً ، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم واستراحة لإزالة الملال ، وقد قال يحيى بن أبي كثير : لا يستطاع العلم براحة الجسم .

وللفائدة يقول الخطيب البغدادي : أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم نصف النهار ثم الغداة وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع ، وأجود أماكن الحفظ الغُرف ، وكل موضع بعُد عن الملهيات[1] .

* * *

من آداب المعلم :

١ـ اجتهاده في تحصيل دروسه ومطالعاته ، وأن يستفيد من كل الناس حتى من الذين هم أصغر سناً ، وقد قال سعيد بن جبير رحمه الله : لا يزال الرجل عالماً ما تعلَّم ، فإذا ترك العلم وظنَّ أنه استغنى واكتفى بما عنده

---

(١) بتصرف واختصار شديد من مقدمة المجموع للنووي رحمه الله .